Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفعالية . ويظهر أن التطور والتغير والتبدل ، هي المفاتيح الأساسية لأطروحة نقولا زيادة ، التي لا تراعي البنيات المكونة لهذا المجتمع المعقد ، في رفضه وقبوله وإقباله ونبذه ، لتعقد التحول ذاته ، على مستوى البنيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لأن الأمر لا يتوقف على المفعول الثقافي وحده ، من ثمة ، يلاحظ نقولا زيادة :

« على أن المؤرخ المعني بالتطور الفكري ، في العالم العربي يلاحظ أنه إبتداء من العقود الأولى من القرن 19 أخذ العالم العربي بالتغير والتبدل والتطور ، وقد كانت الخطوة الأولى بطبيعة الحال ، بطيئة لكنها لم تلبث أن أخذت بالتسارع »[6] . وبطبيعة الحال ، فظواهر التطور والتغير والتبدل ، تكاد تكون جماعية عند المؤرخين الأدبيين . الذين يحيلون باستمرار على إصلاحات عثمانية ، مع أن المغرب مثلاً ، لم يخضع لنظام العثمانيين ، وعلى حملة نابليون ، التي أصبحت من بديهيات النهضة العربية ، أما المدارس والبعثات في لبنان ومصر ، فيجري تأثيرها على باقي الدول ، لأن عصر محمد علي باشا ، في مصر ، مثلاً ، قد حقق للعالم العربي عبر هذه الدولة الانفتاح الضروري .

ويغيب عن المؤرخ الأدبي ، كيف يقع ضحية مجموعة من الاسقاطات ، إذ لم تكن نفس الخلفيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، متماثلة في العالم العربي ، حتى يمكن أن نجريها على فضاء شاسع ، ودول ذات خصوصيات متعددة ، وإلى تاريخ قريب ، كان تاريخ الأدب العربي هو التاريخ الأدبي لمصر أو للبنان . تبعاً للإلحاق القسري ، ولا يمكن للأدب الجزائري مثلاً ، أن يصنف داخله بسهولة ، وقد كان الأولى ، قبل خوض تاريخ الأدب العام ، الاعتماد على تاريخ الأدب الخاص بكل دولة عربية ، حتى تكتسب شرعية مقابلاتها ، ودمج عناصر تحولها ، ضمن ما يقوم نقولا زيادة ، بإقرار صلاحيته ، لمجموع العالم العربي ، فهنالك من العناصر ، ما يعمل في دولة عربيةأكثر من غيرها ، كما أن منها ما لا ينطبق تماماً على

---

(6) نقولا زيادة ، السابق ، ص 4 .